(١) سورة الفاتحة

مكية وآياتها سبع

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

تفسيرُ الاستعاذة المعنى: أستجير بجناب الله وأعتصم به من شر الشيطان العاتي المتمرد، أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به، وأحتمي بالخالق السميع العليم من همزه ولمزه ووساوسه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله رب العالمين.. عن النبي ﷺ أنه كان إذ قام من الليل، استفتح صلاته بالتكبير ثم يقول: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِن هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسيرُ البسملة المعنى: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، مستعيناً به جلَّ وعلا في جميع أموري، طالباً منه وحده العون، فإنه الرب المعبود ذو الفضل والجود، واسع الرحمة كثير التفضل والإحسان، الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمَّ فضله جميع الأنام.

تنبيه: ﴿**بسم الله الرحمٰن الرحيم**﴾ افتتح الله بهذه الآية سورة الفاتحة وكل سورة من سور القرآن ـ ما عدا سورة التوبة ـ ليرشد المسلمين إلى أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم باسم الله الرحمٰن الرحيم، التماساً لمعونته وتوفيقه، ومخالفةً للوثنيّين الذين يبدؤون أعمالهم بأسماء آلهتهم أو طواغيتهم فيقولون: باسم اللات، أو باسم العزى، أو باسم الشعب، أو باسم هبل.

قال الطبري: «إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه، أدَّب نبيّه محمداً ﷺ بتعليمه ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وجعل ذلك لجميع خلقه سنّةً يستنّون بها، وسبيلاً يتبعونه عليها فقول القائل: بسم الله الرحمٰن الرحيم إذا افتتح تالياً سورة ينبىء عن أن مراده: أقرأ بسم الله، وكذلك سائر الأفعال»(٢).

---

(١) أخرجه أصحاب السنن.

(٢) جامع البيان للطبري.

تفسير سورة الفاتحة

بين يدي السورة

هذه السورة الكريمة مكية وآياتها سبعٌ بالإجماع، وتسمى «الفاتحة» لافتتاح الكتاب العزيز بها حيث إنها أول القرآن في الترتيب لا في النزول، وهي ـ على قصرها ووجازتها ـ قد حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وفروعه، تتناول العقيدة، والعبادة، والتشريع، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه جلَّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الاخبار عن قصص الأمم السابقين، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه، إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولهذا تسمّى «أم الكتاب» لأنها جمعت مقاصده الأساسية.

فضلها: أ ـ روى الإمام أحمد في المسند أن «أبيَّ بن كعب» قرأ على النبي ﷺ أم القرآن فقال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ ولا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أوتِيتُهُ»** فهذا الحديث الشريف يشير إلى قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

ب ـ وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلَّى: **«لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ: الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنِ العَظِيمُ الَّذِي أوتِيتُهُ»**.

التسمية: تسمى «الفاتحة، وأم الكتاب، والسبع المثاني، والشافية، والوافية، والكافية، **والأساس، والحمد»** وقد عدّدها العلامة القرطبي وذكر أن لهذه السورة اثني عشر اسماً.

قال الله تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

اللغة: ﴿**الحمد**﴾ الثناء بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل مقروناً بالمحبة وهو نقيض الذم وأعمُّ من الشكر، لأن الشكر يكون مقابل النعمة بخلاف الحمد ﴿**الله**﴾ اسم علم للذات المقدسة لا

يشاركه فيه غيره، قال القرطبي: هذا الاسم ﴿الله﴾ أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، وهو اسم للموجود الحق، الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه ﴿ربّ﴾ الربّ: مشتق من التربية وهي إصلاح شؤون الغير ورعاية أمره قال الهروي: «يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربَّه ومنه الربانيون لقيامهم بالكتب»[1] والربُّ يطلق على عدة معان وهي «المالك، والمصلح، والمعبود، والسيد المطاع» ﴿العالمين﴾ العالم: اسم جنس لا واحد له من لفظه كالرهط، وهو يشمل: الإنس والجن والملائكة والشياطين كذا قال الفراء، وهو مشتق من العلامة لأن العالم علامة على وجود الخالق جل وعلا ﴿الرحمٰن الرحيم﴾ صفتان مشتقتان من الرحمة، وقد روعي في كلٍ من ﴿الرحمٰن﴾ و﴿الرحيم﴾ معنى لم يراع في الآخر فالرحمٰن بمعنى عظيم الرحمة لأن «فَعْلان» صيغة مبالغة في كثرة الشيء وعظمته ولا يلزم منه الدوام كغضبان وسكران، والرحيم بمعنى دائم الرحمة لأن صيغة فعيل تستعمل في الصفات الدائمة ككريم وظريف فكأنه قيل: العظيم الرحمة الدائم الإحسان[2].

قال الخطابي: الرحمٰن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم وعمَّت المؤمن والكافر، والرحيم خاص بالمؤمن كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿الدين﴾ الجزاء ومنه الحديث «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ» أي كما تفعل تُجزى ﴿نعبد﴾ قال الزمخشري: العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولي أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى الخضوع[3] ﴿الصراط﴾ الطريق وأصله بالسين من الاسترواط بمعنى الابتلاع كأن الطريق يبتلع السالك قال الشاعر:

شحنّا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذلَّ من الصّراط

﴿المستقيم﴾ الذي لا عوج فيه ولا انحراف ﴿آمين﴾ أي استجب دعاءنا وهي ليست من القرآن الكريم إجماعاً.

التفسير: علمنا الباري جلَّ وعلا كيف ينبغي أن نحمده ونقدسه ونثني عليه بما هو أهله فقال ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أي قولوا يا عبادي إذا أردتم شكري وثنائي الحمد لله، اشكروني على إحساني وجميلي إليكم، فأنا الله ذو العظمة والمجد والسؤدد، المتفرد بالخلق والإيجاد، رب الإنس والجن والملائكة، ورب السمٰوات والأرضين، فالثناء والشكر لله رب العالمين دون ما يُعبد من دونه ﴿الرحمٰن الرحيم﴾ أي الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمَّ فضله جميع الأنام، بما أنعم على عباده من الخلق والرزق والهداية إلى سعادة الدارين، فهو الرب الجليل عظيم الرحمة دائم الإحسان ﴿مالك يوم الدين﴾ أي هو سبحانه المالك للجزاء والحساب، المتصرف في يوم الدين تصرّف المالك في ملكه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أي نخصُّك يا الله بالعبادة، ونخصك بطلب الإعانة، فلا نعبد أحداً سواك، لك وحدك نذلُّ ونخضع ونستكين ونخشع، وإيَّاك ربنا نستعين على طاعتك ومرضاتك، فإنك المستحق لكل إجلال وتعظيم،

(١) القرطبي ١/ ١٣٣. (٢) كشف المعاني تفسير ابن جماعة. (٣) الكشاف ١/ ١١.

ولا يملك القدرة على عوننا أحدٌ سواك ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي دلنا وأرشدنا يا رب إلى طريقك الحق ودينك المستقيم، وثبتنا على الإسلام الذي بعثت به أنبياءك ورسلك، وأرسلت به خاتم المرسلين، واجعلنا ممن سلك طريق المقربين ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي طريق من تفضّلت عليهم بالجود والإنعام، من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وَحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ أي لا تجعلنا يا الله من زمرة أعدائك الحائدين عن الصراط المستقيم، السالكين غير المنهج القويم، من اليهود المغضوب عليهم أو النصارى الضالين، الذين ضلوا عن شريعتك القدسية، فاستحقوا الغضب واللعنة الأبدية. اللهم آمين.

البَلاَغة: ﴿الحمد لله﴾ ١ ـ الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنًى أي قولوا «الحمد لله» وهي مفيدة لقصر الحمد عليه تعالى كقولهم: الكرم في العرب. ٢ ـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ولو جرى الكلام على الأصل لقال: إيّاه نعبد، وتقديم المفعول يفيد القصر أي لا نعبد سواك كما في قوله ﴿وإيّاي فارهبون﴾ ٣ ـ قال في البحر المحيط: وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:

الأول: حسن الافتتاح وبراعة المطلع.

الثاني: المبالغة في الثناء لإفادة «أل» الاستغراق.

الثالث: تلوين الخطاب إذ صيغته الخبر ومعناه الأمر، أي قولوا الحمد لله.

الرابع: الاختصاص في قوله ﴿لله﴾.

الخامس: الحذف كحذف صراط من قوله ﴿غير المغضوب عليهم﴾ تقديره غير صراط المغضوب عليهم وغير صراط الضالين.

السادس: التقديم والتأخير في ﴿إيّاك نعبد﴾.

السابع: التصريح بعد الإبهام ﴿الصراط المستقيم﴾ ثم فسره بقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

الثامن: الالتفات في ﴿إياك نعبد وإيّاك نستعين﴾.

التاسع: طلب الشيء والمراد به دوامه واستمراره في ﴿اهدنا الصراط﴾ أي ثبتنا عليه.

العاشر: السجع المتوازي في قوله: ﴿الرحمٰن الرحيم، الصراط المستقيم﴾ وقوله: ﴿نستعين.. الضالين﴾[1].

الفوائد: الأولى: الفرق بين ﴿الله﴾ و﴿الإله﴾ أن الأول اسم علم للذات المقدسة ذات الباري

(١) البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٣١.

... وعلا ومعناه المعبود بحق والثاني معناه المعبود بحقٍّ أو باطل فهو اسم يطلق على الله تعالى وعلى غيره.

الثانية: وردت الصيغة بلفظ الجمع «نعبد ونستعين» ولم يقل «إياك أعبد وإياك أستعين» بصيغة المفرد وذلك للاعتراف بقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك فكأنه يقول: أنا يا رب العبد الحقير الذليل، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردي، بل أنضم إلى سلك المؤمنين الموحّدين فتقبل دعائي في زمرتهم فنحن جميعاً نعبدك ونستعين بك.

الثالثة: نسبَ النعمة إلى الله عز وجل ﴿**أنعمت عليهم**﴾ ولم ينسب إليه الإضلال والغضب فلم يقل: غضبتَ عليهم أو الذين أضللتَهم وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله تعالى، فالشر لا ينسب إلى الله تعالى أدباً وإن كان منه تقديراً «**الخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِيْكَ وَالشَّرُّ لا يُنْسَبُ إِلَيْكَ**».

* * *